وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٤ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

﴿ رأي لناقد معاصر ﴾ وهذا الناقد هو الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي مؤلف كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » الذي يمتاز بجدة المنهج الأدبي في النقد وفي تحليل الشعر المعاصر .

فقد عقد فصلاً في كتابه لبحث « الوحدة الشعرية » بإيجاز[1] ... وخلاصة آرائه هي :

١ — وحدة القصيدة هي الرباط الذي يضم التجربة الشعرية والصور والانفعالات والموسيقى والألفاظ في وشاح فني أثيري .. وبهذه الوحدة يتكامل القصيد

٢ — مظاهر هذه الوحدة يتجلى في دوران أبيات القصيدة دوراناً منطقياً شعرياً . وتنقلها تنقلاً فكرياً .. وهذا الدوران المنطقي ينأى عن توفر التجربة الشعرية ، وعرضها عرضاً جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة . فإذا اختلطت التجربة ، أووقف عليها اللبس ، اضطربت الوحدة .

وتقوم الوحدة كذلك على اتجاه الصور الخيالية بالقصيدة اتجاهاً موحداً . فإذا تضاربت الصور ، وتضارب اتجاهها ، تذبذبت الوحدة . ومما يزيد الوحدة حركة وتماسكاً : وحدة الانفعال الشعري ، وجمال الموسيقى المتوائمة مع معاني القصيد .

ولا يقف هيكل الوحدة عند ذلك ، بل إن للألفاظ ، وتموجاتها ، وتوافقها ، وحرية نظامها ، دخلاً كبيراً في تكوين هذا الهيكل .

وليس شك في أن وضع الكلمات في مكانها الواجب ، ونقاء الألفاظ ، ودقة اختيارها ،

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتي ص ٨٢ — ٩٢ طبعة ١٩٦٨

لها بتوصل الوحدة ، ويضفي عليها رونقاً .. وقد تتقوى الوحدة بالاتقاط الطريفة الحية .. وللشخصية أثرها الخفي في بناء الوحدة .

٣ — من الظواهر الجديدة في شعر بعض شعراء الغرب المحدثين : عدم اهتمامهم بالوحدة الشعرية ؛ فهم يرونها لا ضرورة لها ، وأنها نوع من الرتابة والتقاليد الكلاسيكية ، والفن كالحياة لا نظام ولا انسجام فيه .

وهذه الآراء الجديدة في وحدة القصيدة تؤكد ما ذهبنا إليه ، وتقوي رأينا الذي فصّلناه سابقاً .. وهي ولا شك آراء قيمة جديرة بالاشادة والتسجيل [1]

﴿ العودة الى التجديد ﴾ وبعد فاننا قد استعرضنا موقف الشعر العربي والنقاد عامة من وحدة القصيدة ، وأبنّا رأينا بوضوح وخلاصة ما ندعو إليه :

أولاً : ضرورة أن تسود القصيدة وحدة فنية كاملة

ثانياً : وجوب التزام وحدة الموضوع في القصيدة

ثالثاً : أن تكون القصيدة كلاً لا يتجزأ ، وصورة واضحة ساحرة ، لا يحيف عليها تشويه أو دمامة أو نقص أو غموض .

رابعاً : عمق الشعور والاحساس في التصور والتصوير

وهذا كله هو ما أعنيه من وحدة القصيدة . . إن الطبيعة تمنح الشاعر ، والروح الالهي يوحي إليه ، كما يقول شيشرون « والشعراء من المقربين إلى الآلهة لأن السماء أعارتهم للبشر» كما يقول أنيوس الشاعر القديم .. فليجل الشعراء هذه المواهب الالهية التي منحوها ، وليبنوا شعرهم على الحقائق الخالدة ، وليملأوا أفقنا الأدبي تجديداً وحياة وبعثاً وثورة . فاعلة ضعف الشعر الحديث إلا ضعف ثورة النفس والشعور والعاطفة . وهذه السكينة المطمئنة في نفوسنا ، والاكتفاء باحتذاء القدامى ومعارضتهم والنسج على منوالهم ، كما يقول صاحب ثورة الأدب [2] . ولم يبلغ الشعر الأوربي نهضته إلا بعد أن ثار الشعراء في أوربا على القيود القديمة في القرن الثامن عشر ، وأعلنوا حرية الشعور وساروا به خطوات واسعة حتى بلغ الشأو الذي أدركه اليوم [3] ، وتعددت مذاهبه ، من كلاسيكية ورومانتيكية ، وواقعية ، ورمزية ، وسريالية ، ووجودية ، وسواها من شتى ألوان التجديد الأدبي اليقظ المثمر .

(١) كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ٨٢ — ٩١ (٢) راجع ٦٢ — ٧٢ من الكتاب
(٣) نفس المصدر ٢٣

وليس معنى هذا أننا نعيب الشعر العربي عامة ، ونزري به إذراء ، وإنا ندعو الى التجديد ، وفتح آفاق واسعة للشعر العربي تلائم حضارة القرن العشرين وتفكيره ونظراته في الحياة . إننا لا نجد الشعر العربي القديم والحديث فضله ، بسبب خلوه أوخلو أكثره من وحدة القصيدة ، فان ذلك لو حدث لكان أقرب إلى الجمود والخطل ، ونحن نعرف أن الشعر فن ، والفنون غذاؤها الحرية التي لا تتقيد بقيد ، ونعرف أن بعض الباحثين يربطون بين نفسية الشاعر وبيئته وأثره الأدبي ، ويرون في ذلك لوناً من ألوان الوحدة الفكرية التي تربط القصيدة برباط عام . ولكنا ندعو الى الثورة الأدبية ، والتحرر من التقييد التي لا يلزمنا بها الأدب ولا الذوق . إننا ناع في الدعوة الى وحدة القصيدة ، والتزم بها كل شاعر ، ونطالب النقاد بتحكيمها في نقد الشعر المعاصر .. فذلك طريق الى تهذيب الشعر ، والنهوض به وإقبال الناس عليه .

إن العقلية الحديثة لم تعد تقبل هذا الاضطراب في الفكرة ، ولا الجمع بين الأغراض المتباينة من غير ضرورة ملحة ، ولا هذه الصور المشوهة التي لا تنطق عن شخصية ، وإن الذوق الأدبي أصبح لا يستسيغ النبو عن أحكام المذاهب الأدبية السليمة ، ولا التقليد الأعمى الضار ، ولا يهضم الأجمال والصوم والغموض والحيرة في الأثر الأدبي .

فلننطلق سراعاً الى ميادين التجديد في الأدب والشعر ، لبعث الحياة والمتعة والجمال فيها ، ولندفع الناس إلى الاستماع لقيثارة الشعر الخالدة ، التي غنى عليها الشعراء الملهمون في القديم والحديث في الشرق والغرب . وإلا فان اليوم الذي نباعد فيه بين الشعر العربي وبين ثقافتنا وروحنا وأذواقنا وما جد في ميادين الأدب من نشاط وتجديد لهو اليوم الذي نجد فيه الناس جميعاً قد آمنوا برأي أفلاطون ، من أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري [1] وبرأي تولستوي وسواه ، ممن يحطون من مقام الشعر ، وينزلونه من عليائه الالهية إلى حيث اللسان والخمول [2]

والشاعر رسالته — كما يقول كارليل — أن يحمل إلى الناس رسالة الجمال ، ولا شيء أدعى إلى الاستمتاع العميق بهذا الجمال الذي يدعو اليه من اكتمال شخصية الشاعر ومرهبته وبعده عن التقليد . وكل شيء في الوجود فهو قصيدة من قصائد الله ، والشاعر كما يقول شكري أبلغ قصائده ، فليكن داعية للتجديد وليتسم بأذواق الناس الى مستوى الفن الرفيع والجمال المطلق ، والابداع الذي يدنيه الى الامتاع والخلود الأدبي ، ليصل جمال الفن وجمال الموهبة وجمال الرسالة بجمال الحقائق الأدبية الخالدة .

(١) قواعد النقد الادبي — ترجمة الدكتور محمد عوض محمد ٢١ (٢) سحر الشعر ١٢٢